تعريب أم اقتباس ؟

للأستاذ عبدالحق فاضل
(بغداد / العراق)

الذي اريد اليه : هو (تعريب) بمعناه القديم أم الحديث ؟

ذلك بأن المعنَيَيْن قد تعارضا اخيرا وتناقضا في هذه الكلمة الواحدة . فقديما قالوا: عرَّبت الاسم الاعجمي واعربته، بمعنى : نطقت به على نهج العرب ، على تعبير المعجم . وبتعبير أوضح : استعملته في عربيتك ونطقته على طريقة لغتك . ومن ثم اطلق اللغويون « المعرَّب » ـ زنة المظفر ـ على الدخيل في العربية . أما اليوم فصاروا اذا اقتبسوا الاسماء الاعجمية نطقوا بها على الاغلب على النهج الاجنب ؛ مثل : تلكس وفولت وهونگ كونگ، حتى حين يكتبونها هونغ كونغ .. اي ينطقونها بالحركات المالة الاجنبية والحركات الاجنبية .

ثم تغير معنى (التعريب) حين استعمله بعض المتاخرين بمعنى الترجمة ، فقالوا: هذا الكتاب تعريب فلان ، او عرَّبه فلان ، اي ترجمه من لغة اعجمية الى العربية . وهذا بطبيعة الحال عكس المعنى السابق الذي يعني اقتباس اللفظ الاعجمي واستعماله في العربية بدلا من ترجمته . والامثل فيما يبدو ، في حالة نقل الكتاب الاجنبي الى العربية ، ان يسمى العمل (تعريبا) اذا عبّر الناقل عن الفكرة باسلوبه هو دون تقيّد بتعابير الاصل ، وان يسمى (ترجمة) اذا التزم باسلوب الاصل وتعابيره .

وانقلب (التعريب) قلبة اخرى يوم استعملوه في قولهم (تعريب التعليم) مثلا، بمعنى ترك اللغة الاجنبية في التعليم واحلال

العربية محلها . ولـو سمعها احـد العرب القدامى لتساءل متعجبا : هل المقصود هو التعليم باللغـة الاعجمية مع نطق الفاظها « على منهاج العرب » ؟ ذلك بأن المعنى القديم قد انقلب في اصطلاح (تعريب التعليم) تماما من (تعريب الاسم الاعجمي) اي استعماله في العربية بمنحاه الاعجمي مع تحوير نطقه بما يلائم اللسان العربـي ، الى طرد اللغـة الاجنبية واحلال العربية محلّهـا .

وبمـا ان هذا المعنى الاخير المستحدث هـو الشائع الدائر على الالسنة والاقلام اليوم ، وهـو الذي يعرفه ابنـاء الجيل الجديد ، فلستُ اجـد مناصا من الاخذ بـه في حديثي هذا ، ولا اجـد مناصا كذلك من ان استبدل بـ (التعريب) بمعناه القديم كلمـة اخرى ترفع اللبس وتزيل التناقض . ولنقل انهـا (الاقتباس) .

* * *

كثـيرون يقترحون علينا اقتباس المصطلحات الاجنبية كما هـي، بدلا من صوغ الفـاظ عربية تؤدي معناها . بعض هؤلاء من اَجِلّـة العلماء الذين لا شكّ في إخلاصهم للعربيـة وإكبارهم لشانها . ومـن حُجَجهم ان العلـم صار يتطوّر بسرعة عظيمة، والمصطلحات تتكاثـر، فكلّ يـوم يولد نحو خمسين مصطلحا في مختلف العلـوم والصنايع في مختلف اقطار العالـم . ومن حججهم ايضا ان اقتباس المصطلحـات الاعجمية يساعد الدارس العربـي على فهمها حين يقرؤها في لغـة اجنبية ، بدلا من الاضطرار الى تعلّمها من جديـد . وثالثـة هي ان العرب قد اكثروا من الاقتباس قديمـا، ولا سيما في عصر الازدهـار الحضاري على العهـد العباسي ، وعَـدَّ بعضهم هذا من امارات ذكاء العرب وحسن تدبيرهـم .

وجوابنـا على كثرة المولود يوميا مـن المصطلحات عند الفرنجة، ان معظمه لا شان لـه بنـا من العلوم التقنية الحديثة التـي لا نعرف عنها شيئا ، او لا نعرف عنهـا الا القليل، والتي سوف نتعلمها ونحتـاج

الى مصطلحاتها بعد ردح من الزمن، لمَلَّـه طويل . كما ان مصطلحات اليوم غير متّفق عليها عنـد مختلف الامم، مثل اتفاقهم على المصطلحات القديمة التي كانوا يختارون الفاظها من اللغـة الاغريقية او اللاتينية، لكيلا تختلط ـ ولا سيما اسماء المخترعات الحديثة ـ بالفاظ لغتهم اليومية من قبيـل telephon بمعنى Voice a far بالانكليزيـة اي : صوت من بعيـد ، و telegraph بـدل script afar اي : كتابة من بعيـد .

بـل ساروا الآن، لكثرة المخترعات وابتكار الادوات يوميا، يتعجّلون تسميتها ، كلّ بلغـة قومه : احيانا يصوغ اسمها الطبيـب المشتغـل بهـا، واحيانا المهندس، او حتى العامل . في معجم النفـط ـ مثلا ـ الذي عُمِلْتُ في وضع مصطلحات عربيـة للكثير من مصطلحاته الانكليزية ، يطلقون (head : راس) على اجهزة القسم الاعلى من البئـر . فهل نسمّيه على مذهب مؤيدي الاقتباس : (هِـد) ؟ انـا آثرت ترجمة المصطلح بدل اقتباسه، فاخترت لـه كلمة (الهامة) لانـي وجدتهـا اوفـى بالمـرام .

واحـدى الادوات يسميها المعجم الامريكي (عنزة) . ويبـدو ان هذه لم تكن مـن وضع عالم او مجمع لغوي ، فلعلّها من وضع احـد العمال، وَجَـدَ راس الاداة او ذيلها او شكلها العـام يشبه العنزة فـي تصوّره . فهل يجب ان نقتبس اسمها (كـوت : goat) ثم ننطقها ـ على منهاج العرب (قـوت) بالفتح ، او (جوت) بالنطـق المصري ؟ (نسيت الاسم العربـي الذي وضعته لهـا) .

واذا كانت اللغـات الافرنجية تتّفق غالبا في الاسماء المصوغـة من الاغريقية او اللاتينية، كالذي المحنـا اليه ، فان بعضها يتغاير حتـى في هذه ، كالالمانيـة التي تخالف اخواتها الاوروبيات في كثير مـن هذه المصطلحات المشتركة . فامـا المصطلحات التي يصوغها كلّ بلغـة قومه فلا يمكن بحال ان نقتبس واحدة منها من لغـة الا لنخالف الاخريات .

لهـذا الإشكال الذي يبتغي انصار الاقتباس ان يُحلّوه للعربيـة قد اخذت تعاني منه جميع لغـات الارض ! حتى الفرنجـة لم يبق لهـم محيـد عن الترجمة ، كل الى لغتـه : الفرنسيون يترجمون الـى لغتهـم المصطلحات المستحدثة في الانكليزية والالمانيـة والروسية ، والانكليز يترجمون الى لغتهـم ما استُحدِث منها في الفرنسية والالمانيـة والايطالية ، الـخ ... ولا سبيل للعربية تسلكه غير هذا السبيل ، مثلهن ، اي الترجمة ، بـل التعريب ـ وان بين الكلمتين لَفَرْقـاً نَوَّهْنـا بشيء منه آنفـا ، وسيعود الينا نموذج منه بعـد ـ

وبالاضافـة الى اختلاف اللغات في الفاظ المصطلحات نذكـر ان اللغـة الواحدة الافرنجية قد تختلف مفرداتها في داخلهـا ؛ فشركات النفـط، مثلا، لا تتشاور فيما بينها حين يستدعي الامـر وضع مصطلح جديد ، بل تضع كلّ واحدة منهـا المصطلح الذي يمنّ لهـا للالـة الواحدة ،او الحالة الواحدة، حين تصادفها في اثناء الحفر او التصفيـة او غير ذلـك .

فـاذا نحن اردنا اتباع قاعدة الاقتباس، فاية لغـة نتبع ، ولكلّ لغـة ، واحيانا لكلّ شركة معجمهـا ؟

امـا الاشادة بذكاء العرب الغابرين لانهم اقتبسـوا الالفـاظ والمصطلحات ، فمن بـاب الاغراء والتشجيع على الاقتباس الـذي قد يدلّ على اي شيء سوى الذكـاء . فالاقتباس مسيّة جميـع اللغـات ، ولا سيّما القاصرة البدائية منهـا ؛ فكلّما زادت اللغـة إملاقاً وقلّت مقدرةً علـى التعبير، كَثُر اقتباسها من اللغـات الاخرى التي تحتكّ بهـا . (وقد يكون للاقتباس اسباب اخرى غير الفاقـة اللغوية ، لا محلّ لها هنـا).

وقـد تكاثرت المقتبسات في عهـد الترجمة العباسي حقا ، لكـن سبب ذلك على الاغلب ضعف لغـة المترجمين، وضآلة بضاعتهم مـن

العربية ـ وقد كان بعضهم من غير العرب الفصحاء ، فشاعت بسببهم مصطلحات اجنبية لم يعرفوا كيف يترجمونها الى العربية ، مثل : الفلسفة ، والجغرافيا ، والاجرومية ، والارتماطيقا ، والطبوغرافيا ، وكثير غيرها ؛ فسيئما جهل المترجم معنى الكلمة الاعجمية (اغريقية او غيرها) او لم يَهْتَدِ الى الكلمة العربية المقابلة لهـا ، أَقْحَمَ الكلمة الاعجمية في ترجمته العربيـة .

لكـن العرب نقّحوا تلك الترجمات فيما بعـد،ووضعوا الكثير من الالفاظ العربية بـدل الاعجمية ، مثل : الحكمة بـدل الفلسفة ، وتقويم البلدان بـدل الجغرافيه ، والحساب بـدل الارتماطيقا ...

ولأمـر ما ثَبَتَ بعض المصطلحات الاعجمية بـدل العربية ، مثل الفلسفة ، والاسطرلاب ، والجغرافيا ، والكيمياء ، وغيرها . لكـن هذه قليلة اذا هي قيست بالمصطلحات العربيـة التي لا تحصى فـي الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وغيرهـا .

ولـم تد اخذ العلماء العرب عهدئذ كـل المصطلحات الاعجمية كما هي من الاغريقية واللاتينية والهنديـة .. لضاع علينا من لغتنـا هذه العربية خير كثـير .

ولئـن كنت اعاضد (التعريب) واعارض (الاقتباس) فلسـت اجهل صعوبة التعريب ، وما زالت الفـاظ اعجمية تبحث لنفسها عـن صيغ عربية تلابسها ، لانها لم تجـد لدى المجامع ولا الجامعات حتى اليوم ما يقابلها من العربيـة ، وبعضها لن تجد لها ما يقابلها الا بعـد زمـن طويـل .

عُمِلْـتُ في مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (التابع لجامعة الدول العربية) ـ في الربـاط ـ اثني عشر عاما ، ومارستُ تعريـب المصطلحات في بعض المعاجم ، وكتبـت دراسات عن بعضها (دون توقيع) ، فوجدت ان العقبة الكبرى في طريقي هي انـي احس بوجود

كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بالمصطلح الاجنبي ، لكني لا اتذكرهـا .
امـا الكلمات المعجمية التي اعلم انـي لا اعرفها فما اوفرها عددا !
وما مرّت بـي مناسبة من هذا القبيل الا اشتدّ شعوري بحاجتنـا الماسّة الى معجـم للمعاني الى جانب هاتـه المعاجم الكثيرة للالفاظ .
فعندما كتبتُ (في مجلـة اللسان العربي) دراسة عن معجم (الطيران المدنـي) ، مثلا ، عَرَضْتُ لـي انواع من الغيوم والرياح والتحليق في الطيران والاسفاف فيه ، اعلـم ان اسماءها موجودة في العربية لكنـي لا اعلـم كيف اجدها . كذلك كتبتُ عن المعجـم العسكري الموحّـد دراسة وجيزة ، تمنّيت في اثنـاء تحبيرها لـو كان تحت يدي معجـم للمعاني يتناول كـل مفردات الهجوم والدفاع وتقسيم الجحافـل والكراديس ، وكل مـا يتعلق برتب القادة وغيرهم من جنود وعرفاء وما الى ذلك . ومثل هذا يقـال عن معجم النفـط ، والجغرافيـا ، والتاريخ ، والفلسفة ، وكل معجـم يضعه المعرّبون في علـم النفس ، والتربية ، والاقتصاد ... فلكل من هذه المعاجـم وغيرها من معاجـم الاختصاص ذخيرتها المكنوزة في مستودع اللغـة العربية الشديد الغنى .
لكن كيف نعثر عليهـا ؟

مـن فضلك لا تقل لي ارجع الى (مخصّص) ابـن سيدة .
انـه معجم جليل الشأن حقا ، ومؤلفه البحر عبقري حقا ـ لكنه قديم ، لم تكن اشتقات اللغـة العربية قد جُمعت عند تأليفه ، في القرن الثالث الهجري ، وخاصة في الاندلس ، ولان المؤلف ؟ فقد ظهرت معـدده ، ولا سيما في المشرق ، مفردات كثيرة لا وجود لهـا فيه . ثم ان القارىء يتوه فيه في تفاصيل لا يحتاج اليها عن كـل لفظة ، تفيد الدارس اللغوي لكنها ترهق القارىء المستعجل ، الذي همّـه ان يستعرض الالفـاظ الدائرة حول المعنى المطلوب دون دخـول في تشعّبات اشتقاقاتهـا ومختلف معانيها . يضاف الى ذلـك ان (المخصص) لا يستوعب كـل المواضيع ، فضلا عن ان تبويبـه غير عصري ، وفهرسته غير دقيقـة ولا واضحـة .

ولـو تيسر لجيلنا معجم للمعاني يجمع كل ما يتعلق بالضوء في مكان ، وكل مـا يتعلق بالاحلام في مكان آخـر ، وكل ما يتعلق بالجهاد والنضال في مكان ثالث ، وكل ما يتعلـق بالدرس والحصاد في رابـع وخامس ... لامكننا في معظم الحالات ان نجـد الكلمة العربية المطلوبة مقابل المصطلح الاعجمي ، بالدقـة احيانا ، مما سبق للعـرب ان استعملوه واودعوه معاجمهـم ؛ لكننا لا ندري كيف نعثر عليـه .

ازجـي بعض الامثلة من معجم صغير ترجُمْته عـن الانكليزيـة والفرنسية باسم « معجـم صيانة الطبيعة » (١) واجهتني فيه مصطلحات اعجمية لا نستعمل اليـوم في فصحانا مقابلاتها العربية . نذكـر منهـا falconry (fauconnerie بالفرنسية) ويشرحهـا المعجم بقوله إنهـا « استخدام طيور كاسرة للصيد » . فأيـة الكلمتين الاوروبيتين نختار اذا اردنـا الاقتباس بدل التعريب او الترجمة ؟ هـذا، ولكل لغـة اوروبية اخرى كلمتها التي تؤدي لاهلها هذا المعنـى . افليس الامثل ان نؤثر كلمتنـا العربية التي استعملها العرب قديمـا بالفعل لهذا المعنـى وهي (التَصقُّر) ؟

ثـم هناك مصطلح relict (وهو بالفرنسية : relicte) يُعرِّفه المعجم بأنـه « نوع او سلالة من نباتات او حيوانات متخلفـة من فصيلة سالفة اكبـر » . فما الداعي الى الاخذ بالمصطلح الاجنبـي وعندنا في العربية (الخالفة) وهي معجميا « الأمـة الباقية بعد الأمـة السالفـة » ؟

كذلـك dust storm (بالفرنسية tempête de pousserie) .. كثيرا ما يستعمل المعاصرون من كتّابنـا العرب مقابلها (عاصفـة ترابيـة) بينما لدينا في العربية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنـى هـي (السافية) اي « الريح التي تحمل التـراب » .

---

(١) نشر المعجم باغنيه الاوروبيتين مع ترجمته العربية في مجلة (اللسان العربي) . المجلد (١٢ ـ ج ١ ـ ص ٢٠٦) لسنة ١٩٧٢ .

ثم mass mortality (بالفرنسية (mortalite massive .. بأية صيغة اجنبية نقتبسها ؟ بعضهم يترجمونها لفظيا بكلمتي (الموت الجماعي) . ويقول المعجم المذكور بين قوسين (في الروسية مصطلح خاص « زامور Zamor » للموت الجماعي في الاسماك بسبب عوز الاوكسجين او التسمم) . ومعنى هذا انه ليس لديهم في الانكليزية والفرنسية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى لهم . فما الداعي الى اقتباس المصطلح الاجنب ـ الروسي او غيره ـ او ترجمته بكلمتين وعندنا في العربية (السَوَاف) ـ زنة الطَوَاف ـ اي : « الموت يقع في الابل او الماشية » ؟

ما علينا الا ان نبحث في لغتنا فنجد حاجتنا من الالفاظ المعبّرة عما نروم بالدقة او بما يقاربها . وسنجد انها في كثير من الاحيان اغنى حتى في المصطلحات ، وادق من الاجنبية . من ذلك مثلا eulitteral (بالفرنسية Zone eulittrale) ، يعرّفها المعجم بانها « المنطقة تَغْرَق دوريًا لوقوعها بين حدود تَغَيُّر مستوى الماء »،اي تقع بين مستوى صعود المدّ او الفيضان وهبوطهما . بينما هذه الكلمة الاجنبية لا تؤدي كل هذا في لغتهم ، وانما هي تعني لغويا عندهم (الساحلي) فحسب . وما كل ارض ساحلية يصيبها الغرق دوريا على هذا النحو ، لكنهم استعملوها لانهم لم يجدوا في لغاتهم كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى الطويل . فهنا لم (اترجم) لفظ المصطلح المغاير لمعناه اللغوي بكلمة (الساحلي) او ما يماثلها . بل (عَرَّبته)،اي وضعت مقابله الكلمة العربية التي تؤدي بالدقة هذا المعنى ، وهي (الرَقَّة) ـ زنة البَطّة ـ ومن معانيها : « الارض يغمرها الماء وينضب عنها » على تعبير المعجم ؛ وهي مستعملة في الدارجة العراقية ايضا بهذا المعنى ، وربما في دارجات اخريات كذلك .

على ان ثمة مفردات عربية كثيرة اعرفها لكني لا اتذكرها عند الحاجة اليها . واكثر مما اتذكر او لا اتذكر من المفردات التي اعرفها ، هي المفردات التي لا اعرفها . فهنا تتجلى من جديد فائدة معجم

للمعاني ، مصري ، يتمّ فيه جرد كلّ معاجمنا العربية وكتب اللغة المعتمدة ، وفرزها بحسب معانيها ، ليقدّمها لنا مصنفة مبوبة مفهرسة ؛ وما علينا عندئذ ، حين يجابهنا مصطلح اجنبي لا يحضرنا مقابله العربي ، الا ان نفتح معجمنا ذلك على الباب المطلوب . حتى اذا لم نجد المعنى المروم بذاته جاهزا ، فان مفردات المعاني المتصلة به أو القريبة منه، تساعدنا على صياغة المصطلح العربي بالصورة التي تلائمنا وتفي بحاجتنا . وفي هذا مساعفة، اية مساعفة، للمشتغلين بالتعريب ، تقفز بحركة التعريب ووضع المصطلحات قفزة كبيرة الى امام والى اعلى ، في هذه الفترة التي يجتاز فيها وطننا العربي ازمة تعريب ، ونهضة تعريب ، معا . وعندئذ يتيسر العمل حتى لغير اللغويين من المشتغلين في هذا المضمار .

هذا المعجم — حلّال المشاكل التعريبية — موجود ، لكنه غير مطبوع ، كان قد ألّفه اللغوي الذي يكاد يكون مجهولا في هذا الجيل ، وهو المرحوم سالم خليل رزق ، منذ عام ١٩٣٣ ، بعد ان عمل فيه اكثر من عشرين عاما . ثم فارق هذه الدنيا ولم تكتحل عيناه برؤية انجازته تؤدي وظيفتها في خدمة هذه اللغة التي أحبّها وهام بها ، بدليل انه بذل كل هذا الجهد الشاقّ في سبيلها ، وبدليل تسمية معجمه (لآلىء العرب) .

كمثال بسيط اذكر ان من يعمل في تعريب المصطلحات — ولا سيما من غير اللغويين المتبحرين في العربية — قد يتحيّر اذا جابهته بالانكليزية كلمات تعني الكتابة ، وقد ورد كل منها في معنى اصطلاحي خاص، مثل :

putting down, graph, scription, writing, booking, recording, ... فاذا لم يكن ممن يعرف الى جانب (الكتابة) : التسطير ، والتحبير ، والتدبيج ، والتحرير ، والتسجيل ، والتدوين ، والتقييد ... فما عليه الا ان يفتح (لآلى العرب) في الباب المختص ليجد امامه

اكثر من ثلاثين كلمة تعني الكتابة بمختلف انواعها ، وبينها الكلمات الآنفة (٢) .

* * *

لكني لا اناصر التعريب بسبب ما تقدم فقط من ثراء العربية وقدرتها على الاكتفاء بنفسها ، ولا لانها كانت الإمام والقدوة في المصطلحات العلمية إبّان ازدهارها حضارةً وثقافةً ، ولا اعتزازا قوميا ، ولكن بدافع علمي خالص ، عالميّ ، أيضا .

ذلك بأني صرت اعتقد — بعد طول تأمل في هذه العربية ومقارنة لها مع غيرها — انها هي أم اللغات الآريات ، بالاضافة الى الساميّات والحاميّات ، كما اعلنتُ مرارا ؛ بل انها أم لغات اخريات ايضا لم يتيسّر لي بعد إعداد دراسات وافية عنها . وجدت في الانكليزية مثلا ان كلمة river (نهر) يعود رسّمها (= جذرها الصوتي) الى قول العربي الاقدم (هو ووو) محاكاة لصوت هبوب الريح ، وان two (اثنين) تعود الى قوله (طو) محاكيا صوت انكسار الغصن ، وان logic (منطق) ترجع الى قول الطفل العربي (لغ لغ لغ) ، وان (sonata) نوع من المعزوفات) ترجع الى قول الفروج العربي (صو صو صو) (٣) ... ولا يقتصر هذا على الانكليزية طبعا،فهو ينطبق على الآريات بوجه عام وبعض لغات اخريات كالذي مرّ التنويه به .

معنى هذا ان اللغويين الاوروبيين لا بدّ لهم من درس العربية باصولها وفروعها ليتعرفوا على المنشأ الذي انبثقت منه مفردات لغاتهم ؛ لانها — اي العربية — ما زالت بقية تحتفظ وحدها بين

---

(٢) من حسن الحظ ان وزارة الثقافة والاعلام العراقية قد اخذت على عاتقها ، برعاية السيد رئيس الجمهورية ، نشر هذا المعجم .

(٣) فصّلنا ذلك وامثاله في كتابنا « مغامرات لغوية » .

اللغـــات الراقية بالكثير من الجذور اللغويـــة الاولى التي ضاعت من جميع بناتها الساميّات والحاميّات والآريّـــات .

والمصطلحـــات الأجنبية الوفيرة التي اخذت تنهمر علينـــا ـــ اذا اقتبسناها بدلا من تعريبهـــا ـــ افسدت نقـــاء هذه العربية ، وعكّرت صفو معاجمها ، خَلْطًا بين دخيل واثيـــل .

الاقتبـــاس اسرع طريقة فعلا واسهلها لتوسيع اللغـــة ، لكـــنْ لتضييع اصالتها ايضـــا ؟ فالانكليزية اليوم اغنى لغـــات الارض،لانها دأبت على اختطاف كـــل مصطلح او لفـــظ اجنبي يعرض لهـــا ، دون ان تحاول اشتقاق صيغة لهـــا من مفرداتها ، حتى غدت اوفـــر اللغات ثروة،واوفاها بحاجـــة الانسان والباحث المعاصر . لكنها ـــ كلغـــة ـــ من افقـــر اللغات ايضا اذا بحثنا فيها عن المفردات الانكليزية الاثيلـــة . وليس ثمة لغـــة انكليزية في الحقيقة ، لانها كلها خليط من اللغـــة المحلية (الوازية) والسكسونية (الجرمانية) والفرنسية والاسكتلندية ولغـــات اوروبيات اخريات . ثـــم جاء عهد الاقتباس ـــ الاستعماري ـــ مـــن كل لغـــات الناس .

* * *

المصطلحـــات التي اجدني مترددا بين تعريبها واقتباسها هي التي يرجع لفظها الآري الى رس عربـــي . اذكر من امثالها ما يأتـــي :

تلفزيـــون :

وهـــي اهـــم الكلمات الاعجمية ، العربية الاثل ، التي تواجهنـــا الآن ، لشيوعها في كـــل اقطار الوطن العربي . وكنت اقترحت لفظـــة (المِشْواف) تعريبا وترجمةً لاسم هذا الجهـــاز (television) المركب من vision (رؤيـــة) و tele (من بعيد) . امـــا (المشواف) فمن التشوّف الى الشيء،اي التطلع اليـــه ؛ و (الشَّوّاف) من الناس : الحديد البصر ، والشّيفة (زنّـــة السيدة) والشينان (زنـــة

السيّدان) : طليعة القوم الذي (يشتاف) لهم ، اي يستطلع حركات العدو . فمعنى (المِشْواف) مطابق لمعنى (التلفزيون) اي الرؤية من بعيد ، او بالاحرى اداة الرؤية من بعيد ، وهي ادق واصوب ، وقد استحسن اللفظة غير قليلين ، واستعملوها في احاديثهم ، لكنهم غير كثيرين ايضا .

غير ان صيغة (التلفزيون) هي الجارية على الالسن في كل مكان ، وبعضهم صار يشتقّ منها ، فاطلقوا (التلفاز) على الجهاز ، و (التلفزة) على فن البث منه ، و (تُلُفِّزت) المسرحية : اعدتها للاذاعة بالتلفاز ، فهي (متلفَّزة) .

ويرجع مصطلح التلفزيون (television) ، فيما يخيّل لي ، الى اثل عربي قديم . اما tele فلعلها من قول العربي تلى فلانٌ : تخلف .. وتلى فلانًا : سبَقَه وتَقَدَّمه .. وتلا بعد موته : تأخر وبقي .. واتلاه : سبقه او اخّره . واصل المعنى تلاه : تبعه . وهذا يتسم عن قابلية الكلمة للتطور والانحراف عن معانيها ، شان الكثير من الالفاظ العربية . ثم ان كثرة ما نجده من الالفاظ العربية متسربة من اللغات الاعجمية ، تدعونا الى البحث في العربية عن اصول الالفاظ الاوربية التي لا يعرفون لها اثلا في اللغات الاخريات . لهذا لا نستبعد ان تكون (tele) هذه التي تعني البعد ، منحدرة من فعل (تلى) بمعنى التخلّف والتأخر عن القوم ، لشدة اتصاله بمعنى البعد منهم . والمسافة بين هذين المعنيين اقرب مما بين المعنى الاصلي (الاتساع) والمعاني المتفرعة منه ولا سيما (السبق) — المناقض للاتباع — في العربية نفسها .

واما (vision) بمعنى الرؤية فاصلها من اللاتينية . وهي من (viso) اي وجه ، بالايطالية . ومرادفها (face) ينطق (فاجِه) بالجيم المثلثة . وهذه صلتها بصيغة (وجه) العربية اوضح من ان تطلب ايضاحا . ومن viso او نحوها صيغت (visit)

بمعنى الزيارة . والصلة بين الزيارة والوجه نجدها في العربية ايضا ، حيث اشتقوا من الوجه (المواجهة) بمعنى الملاقاة والزيارة عند المحدثين . اما المعجم فيقول ان (المواجهة) تعني اللقاء وجها لوجه . و وجّه (بالتشديد) الى فلان : ذهب اليه (وهذا يعني زاره بطبيعة الحال) .

فعلى هذا يكون (التلفزيون) بشقيه (tele vision) من العربية اشلا . وسؤالي هو : هل نقتبس هذه الكلمة كرامة لنسبها العربي العريق ، أم نعرّبها .. بالمشواف او غيره ؟

سوناتا :

لها معناها الموسيقي العالمي المعروف . ويرجع رسّها (جذرها الصوتي) الى حكاية صوت الفرّوج (صو صو صو) الذي منه قال العرب صاى الفرخ : اي صات . ومنه اشتقوا : صاء ، ثم صاح ، ثم صات وصوّت .. ومن (الصوت) تظهر في الانكليزية shout sound . ومن قبل ظهرت في اللاتينية بصورة sonitum sono . ومن هذه الاخيرة صيغت سوناتا sonata

جيولوجيا :

هي بالانكليزية geology ، مركبة من الكلمتين الاغريقيتين : (gé) (ارض) و logia (كلام) التي الحقوها ببعض الاسماء بمعنى (العلم) ؛ فيكون من مصطلحنا هذا : (علم الارض) ، وقد عرّبوه بـ (علم طبقات الارض) . وكنت شخصيا اطلقت على هذا العلم اسم (الأرضانيّات) قياسا على (الأحيائيّات) بمعنى علم الاحياء . والنسبة الى الارضانيات (ارضاني) فنقول المسح الارضاني والعهود الارضانية بمعنى المسح الجيولوجي والعهود الجيولوجية .

ان كلمة (logy) المنحدرة من الاغريقية لوغيا : (logia اي الكلام ، ترجع باصلها العربي الى (لغة) .

وامـــا gé فتعني بالاغريقية الارض ، كمـــا تقدم . وتقول المعاجم التاثيلية ان الاسم الاقدم للأرض في الاغريقية هو (gaia) .. وهنا نتذكر في العربية (الكاع) اي الارض ايضـــا ، بالنطق المدوي والعراقي ، والدارج في اقطار المعربـــة (الجزيرة العربية) بوجه عـــام . و (الكاع) فصيحها (القاع) وهو ممجمبًـــا : الارض السهلة المستويـــة ، على حين ان صيغة (الكاع) في الدارجات العربيـــة يعني كما في الاغريقية الارض اطلاقا دون تحديد ، وهـــو المعنى العربي الاقدم فيما نعتقد . وربما كانت صيغة (قيعة) اقرب الـــى الاغريقية (gé) ، وقـــد وردت في الآيـــة « كسراب بقيْعة يحسبه الظمآن مـــاء » اي كسراب بارض . لهذا لا اجدني اتفق مع المعاجم التي تعتبر (القيعة) صيغـــة جمع فقط للقاع ، بينمـــا وردت في هذه الآيـــة بمعنى الارض الفردة ؛ وليس من المعقول ان يكون معنى الآيـــة : « كسراب (باراض) يحسبه الظمـــآن مـــاء » .

ثـــم هناك (القاعة) وهي مجمعيا : ساحة الدار ، لكنها كانـــت تعني الارض بعامة ايضا،فيمـــا ارى ؛ اي ان صيغة (القاعة) المؤنثة ترادف (القاع) المذكـــر ، مثل مرادفة المـــاءة للمـــاء،او النعمة للنعم والليلـــة لليـــل .

لهـــذا يغلب على الظن ان (gé) اثلهـــا (قيمة) و (gaia) اثلهـــا (قاعة) ـــ بمعنى واحد . اي ان الكلمة العربية دخلت الاغريقية بصيغتيهـــا .

وامـــا نطق القاف كافا مخففا فعادة عربية قديمة ؛ وقـــد جـــاء الاسلام وقريش وحدها تنطق القاف قافا قرآنيـــا،كما لا تزال تنطقـــه بعض الدارجات متخلفا من القبائـــل القرشية ومن تأثرها . امـــا سائر القبائل العربية فكانت ومـــا زالت تنطقه كافا خفيفا . (وبعض الدارجات تنطقه جيما او همـــزة) ..

فعلى هذا وذاك تكون الجيولوجيا : geology (المؤلفة اثلا من (كيه : gé) و (لوغيا : logia) كلمة اعربية (= عربية قدمى) اثيلة بمادتها، اعجمية بصيغتها . وهي كلمة اخرى اجنبي مترددا بين اقتباسها بثوبها هذا الاوروبي وتعريبها بصيغة الارضانيات، التي كنت اقترحتها واستعملها بعض اللغويين .

تلفون :

هذه الكلمة الاجنبية قاومت مدة طويلة بعد انقراض زميلاتها الاخريات، مثل (تلغراف : telegraph) الذي صار يدعى (برقية) و (غرامافون : gramaphon) الذي عُرِّبَ بصيغة : حاك .

بالرغم من أن بعض الاقطار العربية عرّبت (التلفون) باسم (الهاتف) بقيت اقطار اخرى محتفظة باسمه هذا الفرنجي، واشتقت منه (تَلْفَنَ يُتَلْفِن) ؛ على حين أن (الهاتف) بالرغم من عروبته لا يصاغ منه (هتفت لفلان) بمعنى تلفنت . كما أن تسميته العربية هذه تعوزها الدقة اللغوية ، فمن حقه ان يدعى (مهتوفا به) ، اما (الهاتف) فالانسان المتكلم بالجهاز لا الجهاز نفسه . وكان الصواب ان تؤخذ له احدى صيغ اسم الآلة : مِهتاف ، مِهْتَف ، مِهْتَفة ، هاتوف ! . .

لكن صيغة (الهاتف) هذه المغلوطة معنى ومبنى ، طفقت تطارد (التلفون) من قطر الى قطر ، الى ان تبنّاها الاكثرون، حتى في العراق الذي بقي حينا من الدهر متمسكا باللفظة الاجنبية . واحسب ان هذا سيكون مصيره في بقية ارجاء الوطن العربي .

و (التلفون : telephon) مركب، كما هو معلوم، من (tele) التي سبق انا تاثيلها و (phon) : صوت ، التي يقابلها في اللغة الاعرابية (= العربي الاقدم) هو (الفوه) أي الفم الذي تنطقه الدرجة الغربية بالضم (فم) وبعضهم يمدّه على عادة

المغاربة في مـــد بعض الحركات : (فوم) .. وهي ظاهرة نطقية متخلّفة من عـــادة اعربية لبعض القبائل القُدْمى . وقد استعملت العربه (الفوه) بمعنى الكلام في قولهم،فـــاه يفوه فَوْهًا ، اي نطق .. وتفاوَهُ القـــوم : تكلّموا . وليس بمستبعد أن تكون (فون : phon) تحريفا يسيرا من (الفوه) بالضم : فـــم ، او (الفَوه) بالفتح : مصدر لفعل "فـــاه يفوه"، اي ينطق .

تكنولوجيـــا :

technology .. امـــا (لوجي logy) فقد تعمدتنا عنها ، وامـــا (تكنـــو : techno) فأصلها الاغريقي (تخنـــه : techné) اي الفـــن . واصلها العربي هو (التِّقْن) زنة الفِكْر ، اي الطبع،في مثل قولهم:« الفصاحة مِنْ تِقْنِـــه»،اي من طبعه »،فهي على هذا تعني الملكة والفطرة ــ اي الموهبة او ما اليها . وهي من (الاتقان) : الإحكام . والرجل (التِّقِن) زنـــة الشَّرِس ، هو « المتقن الأشياء،الحاذق فـــي العمـــل » .

اذن فـــ (التكنولوجيا) ايضا عربية اصـــلا . ولكن [illegible] بها فـــلا ينبغي ان نفرّط بصيغة (التِّقْنِيّات) و (التِّقْن) وانفسنا نقتصر في استعمال (التكنولوجيا) على المُواطـــن التي لا تفي (التقنيات) بالتعبير الدقيق عنها ، فيمـــا اذا جابهتنا مثل هذه المواطـــن .

بنزيـــن :

هـــذه الكلمة الاعجمية ترجع كذلك الى اصـــل عربي ، لكنها غير خالصة النسب في العروبة ولا هي قديمة ، ولا سلف لها في العالمين بمعناها الاصلي . فهي من مولّدات العهـــد الاسلامي اولا،ومنحوتة من كلمة عربية واخرى اعجمية،ثانيا . وذلك الاصل هو (بـــار جاوه) وهو نوع من الصمغ العطر كان يجلبه التجار العـــرب من [illegible] ولا علاقة لـــه بالبنزين المستعمل وقودا للسيارات وغيرها [illegible]

الفرنسيين سموه (بنجوان : benjoin) بعد حذف لام (لبان) ظنًّا منهم، فيما يظهر، انه لام التعريف (في لغتهم) . وعنهم اخذه الانكليز بنفس الكتابة (benjoin) لكنهم نطقوه على طريقتهم (بنجوين) ، ثم جعلوه (بنزوين : benzoin) . ثم تطور معناه ايضا حتى صار (بنزين : benzin) .

جغرافيا :

اما هذه فلا مجال الآن لمناقشة الاحتفاظ بصورتها الاغريقية هذه او تعريبها بلفظ عربي مبين ، لانها شاعت وفرضت نفسها بالرغم من ان العرب سبق ان عرّبوها باسم (تقويم البلدان) ثم اختصروها الى بلدانيات .

وهي من الاغريقية (gé : ارض + graph : كتابة) اي علم الكتابة عن الارض .

اما (كيه : gé) فقد اتلناها عند كلامنا عن (الجيولوجيا) ؛ واما (كراف : graph) بمعنى الكتابة فيخيل لنا انها من العربية ايضا .

ذلك بان العرب قالت خربش شيئا : خَلَّطه (بالتشديد)، وهي من قولهم خربش الكتاب (اي المكتوب) : افسده . وهذا المعنى مستحدث في الكلمة، سبقه معنى التقريب في الكتابة بين الكلمات والسطور، الذي عدوه إفسادا بالقياس الى المباعدة بينها تَطَلُّبًا للوضوح والرفاهة . وهذا المعنى المصاغ من الكلمة نجده في قولهم: قَرْمَدَ كتابا : كتبه دقيقا وقارب بين سطوره ، ؛ وبنفس المعنى قالوا: قَرْمَط الكتاب . ومن هذه الفصيلة قولهم، خَرْفَصَ في المشي : قارب خطاه ، وفي الكلام : قاربه . واصل المعنى في كل هذا هو الافساد ، في لفظ (خربش) المشتق من (خَرَّب) . وعند انتقال المعنى الى الكتابة صار يعني التقريب بين الكلمات والسطور، باعتبار ذلك نوعا من الافساد . وليس ببعيد ان

فكسون graph الافريقية بمعنى الكتابة تعريبا تطوريا لكلمة (خرمش) أو (خرّب)، بمعنى الكتابة المتقاربة اولا، ثم الكتابة مطلقا . وقد رأينا أن التحريف كان أكبر في كلتا الكلمتين لفظا ومعنى في داخل العربية الأم .

فاصطلاح (الجغرافيا) هذا الذائع على الالسنة ، الراسخ في المدونات العربية ، لم يعد في الامكان تعريبه، اي استبدال لفظة عربية به ، حتى لو قرّرنا طرد امثاله من المصطلحات الاجنبية التي يرجع نسبها البعيد الى العربية .

فونوغراف :

وقد وردت بصيغتي (phonograph) و(gramophon) ، وكلتاهما تتألف من مادتي phon (صوت) و (graph) (كتابة) اللتين تتقدم قائيلهما — بمعنى تسجيل الصوت . أما هذا المصطلح فقد انتزع مذ شاع بدله (الحاكي) ، ولم نعد نقرأ لاحد تعبير (الفونوغراف) أو (الغرامافون)، كما انتزع (التلغراف : telegraph) الذي حلّت محلّه (البرقية) . ولم يعد بالامكان احياؤه حتى لو اردنا ؛ اي انه اصبح (معرّبا) بالمعنى الحديث للتعريب ، وشأنه عكس شأن (الجغرافيا) مثلا — المعرّبة بالمعنى القديم .

على أن الانكليزية ايضا اهملت المصطلح بصيغتيه، وصارت تدعو الحاكي الحديث باسم (بيك اب : pick-up) الذي شاع في الدارجات العربية ولغات اخرى .

متر :

مَتَرْتُ الحبل : مددته . ومعلوم انهم كانوا يقيسون مساحات الاراضي بالحبل ، ومن هنا نشأ (المتر : meter) وفعل (measure) اي يقيس طولا او ثقلا او حجما او اي شيء — في الفرنسية والانكليزية من طريق اللاتينية .

و (المتر) ايضا اصبحت عربية ، بل عالمية ، ولم يعد بالامكان الاستبدال بها ، لو اردنا .

* * *

لا حاجة بي — بعد الذي تقدّم — الى اعادة القول إني من انصار التعريب ، ضد اقتباس الالفاظ الاعجمية المحض . لكن تساؤلي هو كما قلت : ما هو موقفي من هذه الاسماء الاجنبية التي يكشف لنا التاثيل عن محتدٍ لها في العربية عريق ؟ هل نرفضها ؟

ام نقبلها ، لا اقول مباهاة بها بين الأمم ، لكن اعزازا لها ، وتكرمة لنسبها العربي ، وتدليلا علميًّا على امومة العربية لكثير من اللغات ؟

فهذا الامر الذي لا ازال اراني مترددا فيه .

عبد الحق فاضل